الإصلاح بين الناس في القرآن الكريم، (دراسة موضوعية) ـــــــ

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا أما بعد:

فإن الإصلاح بين الناس من أعمال البر العظيمة التي حث عليه الله تعالى في كتابه الكريم، وأمر به في آيات كثيرة منه، ووعد القائمين عليه بالأجر العظيم، قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: ١١٤]، وهو من الأعمال الجليلة التي لا يوفق للقيام به إلا من وفقه الله تعالى لذلك، فحبب إليه فعل الخير والعمل على جمع كلمة الناس والإصلاح فيما بينهم. والإسلام يربي أتباعه على الوحدة والاجتماع ويحثهم على كل ما يساعد على تحقيقها ويبغض إليهم الفرقة والاختلاف، وينهاهم عن كل ما يؤدي إليهما؛ لأن ذلك طريق الفشل والوهن قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ ﴿٤٦﴾﴾[الأنفال: ٤٦].

والخلافات بين الناس من الأمور التي تقع بين جميع فئات المجتمع، فهي تقع بين الأزواج والأقرباء والجيران، وتقع وبين القبائل والدول، وهذا أمر طبعي وحتمي ومشاهد لا يمكن إنكاره. وغالبا ما تكون أسباب هذه الخلافات في بداياتها أسباب بسيطة يمكن تلافيها، لو أحسن الناس التصرف وسارعوا للإصلاح بين الناس المختلفين، لكن بعض الناس يكون موقفه سلبي تجاه أي خلاف يشاهده أو يقع أمامه، والسبب في ذلك الجهل بمخاطر الفرقة والاختلاف، وعدم علمهم بأهمية الإصلاح بين الناس وفضله، فكان هذا البحث مساهمة منا لتجلية هذا الموضوع وبيانه في ضوء القرآن الكريم.

أهمية البحث:

تنبع أهمية موضوع البحث من خلال النقاط التالية:

أولاً: أمر الله تعالى في كتابه الكريم بالإصلاح بين الناس، ووصفه بأنه من خير الأعمال التي يقوم بها الخلق، ووعد القائمين عليه بالأجر العظيم.

ثانياً: ارتباط موضوع الإصلاح بين الناس بحياة الفرد والمجتمع المسلم، فبه تنطفئ نار النزاعات والخصومات، وتتصفى القلوب من الأحقاد والمشاحنات، فيتحقق بذلك تماسك المجتمع ويسلم من التمزق والانهيار.

الإصلاح بين الناس في القرآن الكريم، (دراسة موضوعية) ـــــــ

الإصلاح بين الناس في القرآن الكريم، (دراسة موضوعية) ـــــــ

المقدمة وفيها: أهمية البحث وأهدافه ومشكلته وحدوده ومنهجه والدراسات السابقة وخطته.

التمهيد: يشتمل على التعريف بالإصلاح.

المبحث الأول: الإصلاح بين الناس أهميته وفضله، في ضوء القرآن الكريم.

المبحث الثاني: أنواع الإصلاح بين الناس، في ضوء القرآن الكريم.

المبحث الثالث: صفات المصلحين بين الناس، في ضوء القرآن الكريم.

الخاتمة: تضمنت أهم النتائج والتوصيات.

التمهيد: التعريف بالإصلاح.

أولاً: الإصلاح في اللغة:

قال أهل اللغة: (صلح) الصاد واللام والحاء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على خِلاف الفَساد، يُقال: صَلُحَ الشَّيءُ يَصْلُحُ صَلاَحاً فهو صالح وصليح، والجمع صلحاء وصلوح، ومنه قال تعالى: ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ٣٩]، والإصلاح: نقيض الإفساد يقال: أصلح الشيء بعد فساده إذا أقامه، وأصلح الدابة إذا أحسن إليها فصلحت. (٣)

ثانياً: الإصلاح في الاصطلاح:

"هو إزالة الخلل، والفساد الطارئ على الشيء؛ مما يؤدي إلى استقامة الحال، وقيل هو: ارجاع الشيء إلى حالة اعتداله بإزالة ما طرأ عليه من فساد" (٤) وقيل: الإصلاح مأخوذ من الصُّلْح: وهو بمعنى المصالحة، وهو المسالمة خلاف المخاصمة، وأصله من الصَّلاح الذي هو ضدّ الفساد؛ ولهذا أمر الله تعالى به عند حصول الفساد والفتن بقوله تعالى:﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾[النساء: ١٢٨]، ومعناه أن جنس الصّلح خير، فيعلم بهذا أنّ جميع أنواع الصّلح حسنة؛ لأنّ فيه إطفاء الثّائرة بين النّاس، ورفع المنازعات الموبقات عنهم (٥).

وما سبق يتبين لنا أن المراد بالإصلاح بين الناس هو: التوسط بين الناس المختلفين من قبل المصلحين لإزالة الفساد الحاصل بين الناس بسبب النزاع على أمر من الأمور؛ لأجل إطفاء نار الخصومة والعداوة بينهم وعودة علاقتهم إلى سابق عهدها، ويكون الإصلاح بينهم عن طريق التراضي؛ تجنبا لحدوث البغضاء والشحناء، بغية الحصول على الألفة والمحبة فيما بينهم.

ثالثا: الفرق بين الإصلاح والمصالحة:

بالعودة إلى معاجم اللغة العربية، نجد أن هناك فروق بين لفظتي الإصلاح والمصالحة، وهذه الفروق يمكن بيانها على النحو التالي:

الإصلاح بين الناس في القرآن الكريم، (دراسة موضوعية) ـــــــ

الإصلاح بين الناس في القرآن الكريم، (دراسة موضوعية) ـــــــ

الآية بقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ متعلقٌ بالأوامرَ الثلاثةِ، والمرادُ بالإيمان كمالُه أي: إن كنتم كاملي الإيمانِ فإن كمالَ الإيمان يدور على هذه الخِصالِ الثلاثِ طاعةُ الأوامرِ واتقاءُ المعاصي وإصلاحُ ذاتِ البين بالعدل والإحسان، وفي هذا حثٌّ لهم على المسارعة إلى امتثال وتنفيذ هذه الأوامر "[١٣] .

والإصلاح بين المؤمنين طريق لنيل رحمة الله تعالى؛ لهذا حتمت آية الحجرات بقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ قال ابن عاشور:" ومعنى قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أي: تُرْجى لكم الرحمة، وإنما اختيرت الرحمة؛ لأن الأمر بالتقوى واقع إثر تقرير حقيقة الأخوة بين المؤمنين وشأن تعامل الإخوة الرحمة فيكون الجزاء عليها من جنسها"[١٤] .

وقد تتعقد مهمة القائم بالإصلاح بين الناس، لما يجده من عنت من قبل المختلفين وإعراض عن كل الحلول التي يطرحها عليهم، فيصل به الحال إلى أن يقرر عدم مواصلة السير في طريق الإصلاح بين الناس، ويؤكد ذلك بأن يحلف أيمانا مغلظة، ويجعل تلك الأيمان مانعة له من مواصلة السير في طريق الإصلاح بين الناس، لكنه إذا أراد العودة لمواصلة جهوده في الإصلاح بين الناس، ففي هذه الحالة أجاز الله تعالى له أن يكفر عن يمينة ويواصل جهوده للإصلاح بين الناس، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾﴾ [البقرة: ٢٢٤] قال الإمام الشوكاني في تفسيره لهذه الآية:" أي: لا تجعلوا الله حاجزاً، ومانعاً لما حلفتم عليه؛ وذلك لأن الرجل كان يحلف على بعض الخير من صلة رحم، أو إحسان إلى الغير، أو إصلاح بين الناس بأن لا يفعل ذلك، ثم يمتنع من فعله معللاً لذلك الامتناع بأنه قد حلف أن لا يفعله، فنهاهم الله أن يجعلوه عرضة لأيمانهم، أي: حاجزاً لما حلفوا عليه، ومانعاً منه"[١٥]

والإسلام حرم الكذب أشد التحريم، وأجازه للضرورة، ومن هذه الضرورات التي يباح فيها الكذب إذا تحققت به مصلحة راجحة كالإصلاح بين الناس؛ وذلك من أجل قطع دابر الفتنة بالإصلاح فيما بينهم، فعن أم كلثوم بنت عقبة أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " **ليس الكذاب بالذي يصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً** "[١٦]. قال الإمام النووي معلقاً على هذا الحديث:" والظاهر إباحة حقيقة نفس الكذب، لكن الاقتصار على التعريض أفضل والله أعلم "[١٧]، فمن كان يسعى للإصلاح بين الناس واضطر للكذب من أجل ذلك فلا حرج عليه بشرط أن يكون كذبه بقدر الحاجة، وأن لا يتوسع في ذلك، وإن استخدم التورية بدل الكذب فهو الأفضل.

الإصلاح بين الناس في القرآن الكريم، (دراسة موضوعية) ـــــــ

الأذى عن الطريق صدقة "(٢٣)، وأكد النبي صلى الله عليه وسلم على هذا المعنى باعتبار أن الإصلاح بين الناس من أفضل الصدقات، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **أفضل الصدقة إصلاح ذات البين**" (٢٤). وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أمته أن الإصلاح بين الناس أفضل من نوافل الصلاة والصيام والصدقات، فعن أبي الدرداء رضى الله عنه قال قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" **ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة**"؟ قالوا بلى قال:" **صلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هي الحالقة**""(٢٥).

فإذا استشعر المسلم عظيم ثناء الله تعالى على المصلحين بين الناس، والأجر والثواب الذي يناله المصلحون بين الناس، كان من المسارعين للإصلاح بين الناس، ابتغاءً للأجر والمثوبة من الله تعالى.

ثالثا: الإصلاح بين الناس خير من الخصومة:

اقتضت طبيعة الحياة أن تحصل نزاعات وخلافات بين الناس تؤدي لفساد ذات بينهم؛ وذلك بسبب اختلاف الناس في طبائعهم واهتماماتهم وميولهم وتفكيرهم، لهذا كان السعي للإصلاح بين الناس خيرا من بقاء الخصومة فيما بينهم، قال الله تعالى: ﴿ **وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ** ﴾ [النساء: ١٢٨]،وقد وقع خلاف بين أهل التفسير في الألف واللام في كلمة ﴿ **الصُّلْحُ** ﴾ الواردة في هذه الآية، هل هي للعهد؟، وعليه فيكون المقصود بالصلح الوارد في الآية، الصلح بين الزوجين الذي سبق الحديث عنه في الآية، وذهب إلى هذا القول كثير من أهل التفسير(٢٦)، وذهب البعض الآخر إلى أن الألف واللام في كلمة ﴿ **الصُّلْحُ** ﴾ تفيد الاستغراق فتشمل كل أنواع الصلح، وعليه يكون قوله تعالى: ﴿ **وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞ** ﴾ لفظ عام مطلق يقتضي أن الصلح الحقيقي الذي تسكن إليه النفوس ويزول به الخلاف خير على الإطلاق من الخصومة، ويدخل في هذا المعنى جميع ما يقع عليه الصلح بين الرجل وامرأته في مال أو وطئ أو غير ذلك، وهذا خير من الفرقة، والتمادي في الخلاف والشحناء والمباغضة التي هي قواعد الشر (٢٧).

ولعل هذا القول هو القول الصحيح الذي يتوجه إليه المعنى، فالإصلاح ين الناس جميعا، في كل النزاعات والخلافات الحاصلة بينهم، خير من الخصومة، ويدخل في ذلك الإصلاح بين الزوجين فهم جزء من الناس، قال الشيخ السعدي ويؤخذ من قوله تعالى: ﴿ **وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞ** ﴾ "أن الصلح بين مَن بينهما حق أو منازعة في جميع الأشياء أنه خير من استقصاء كل منهما على كل حقه، لما فيها من الإصلاح وبقاء الألفة والاتصاف بصفة السماح، وهو جائز في جميع الأشياء، إلا إذا أحلّ حراما أو حرّم حلالا

فإنه لا يكون صلحا وإنما يكون جورا، واعلم أن كل حكم من الأحكام لا يتم ولا يكمل إلا بوجود مقتضيه وانتفاء موانعه، ومن ذلك الإصلاح بين الناس، فذكر تعالى المقتضي لذلك ونبه على أنه خير، والخير كل عاقل يطلبه ويرغب فيه، وذكر المانع من حصول الإصلاح بين الناس وهو شح الأنفس، فقال تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾[النساء: ١٢٨]، فالنفوس مجبولة على ذلك طبعا، أي: فينبغي لكم أن تحرصوا على قلع هذا الخُلق الدنيء من نفوسكم، وتستبدلوا به ضده وهو السماحة، فمتى وفق الإنسان لهذا الخُلق الحسن سهل عليه حينئذ الإصلاح بينه وبين خصمه بخلاف من لم يجتهد في إزالة الشح من نفسه، فإنه يعسر عليه الصلح والموافقة، لأنه لا يرضيه إلا جميع ماله، ولا يرضى أن يؤدي ما عليه، فإن كان خصمه مثله اشتد الأمر وصعب الإصلاح بينهما"(٢٨).

ولأن الإصلاح بين الناس خير من الخصومة فإنه يجوز تأخير صلاة الجماعة عن أول وقتها، إذا ترتب على ذلك مصلحة، كإكمال كتابة شروط الإصلاح بين الناس إذا كان الإصلاح بينهم سيتضرر بتأخير الكتابة إلى ما بعد الصلاة، فعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن بني عمرو بن عوف كان بينهم شيء فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلح بينهم في أناس معه فحُبِسَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت الصلاة، فجاء بلال إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال: يا أبا بكر إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حبس وقد حانت الصلاة، فهل لك أن تؤم الناس ؟ قال نعم إن شئت، فأقام بلال وتقدم أبو بكر رضي الله عنه فكبر للناس، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي في الصفوف حتى قام في الصف فأخذ الناس في التصفيق، وكان أبو بكر رضي الله عنه لا يلتفت في صلاته فلما أكثر الناس التفت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره أن يصلي فرفع أبو بكر رضي الله عنه يديه فحمد الله ورجع القهقري وراءه حتى قام في الصف فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى للناس..." (٢٩)، قال الإمام النووي في تعليقه على هذا الحديث:" وفيه احتمال تأخير الصلاة عن أول وقتها وترك فضيلة أول الوقت لمصلحة راجحة "(٣٠). ومن هذه المصالح الراجحة إتمام الصلح بين الناس، أما إن لم تكن هناك مصلحة راجحة أو عذر قاهر، فلا يجوز تأخير الصلاة عن وقتها، ويجب أداؤها في وقتها المحدد.

فإذا علم المسلم أن الإصلاح بين الناس خير من الخصومة والنزاع، بادر للإصلاح بينهم، واستخدم لإنجاح جهوده ومساعيه، كل السبل المتاحة والطرق المشروعة؛ حتى ينهي الخصومات والنزاعات الناشئة بين الناس؛ وبذلك تنتشر الألفة والمحبة في أوساط الناس، وينال المصلح الأجر العظيم من الله تعالى.

رابعاً: الإصلاح بين الناس من عمل أنبياء الله ورسله:

دعوة الخلق إلى الله تعالى هي المهمة الرئيسية لأنبياء الله ورسله، وهناك مهمات أخرى تقف إلى جانب هذه المهمة، ومن هذه المهمات مهمة الإصلاح بين الناس، والعمل على إصلاح الأوضاع المختلة في حياتهم، وقد قام أنبياء الله ورسله بهذه المهمة خير قيام، فهذا نبي الله موسى عليه السلام، عندما ذهب لمناجاة ربه سبحانه وتعالى يوصي أخاه هارون بالعمل على إصلاح أوضاع بني إسرائيل في حال غيابه، ولا يتبع سبيل المفسدين، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾[الأعراف: ١٤٢]، وقد تضمنت هذه الوصية النبوية من موسى عليه السلام لأخيه هارون أمر في قوله: ﴿ وَأَصْلِحْ ﴾ ونهي في قوله ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ فقوله: ﴿وَأَصْلِحْ ﴾ "يستلزم أن يبقى الصالح على صلاحه فلا يفسده، وإن استطاع أن يزيد فيه صلاحاً فليفعل، وقوله: ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ فيه نهي موجه لنبي وهو هارون، أن لا يتأتى منه الإفساد، فكأن موسى قد أُلهِم من الله تعالى أنه ستحدث بعد غيابه فتنة وإفساد، فقصارى ما يطلبه من أخيه هارون ألاَّ يتبع سبيل المفسدين، وقد بذل هارون غاية جهده في إصلاحهم حتى قهروه واستضعفوه ولم يبق إلا أن يقتلوه"(٣١).

وهذا نبي الله شعيب عليه السلام أرسله الله تعالى إلى أهل مدين ليدعوهم إلى الله تعالى، ثم يعمل على إصلاح الاختلالات الحاصلة في المعاملات بينهم، كنقصهم للمكيال والميزان وبخسهم الناس أشياءهم، وإفسادهم في الأرض، فسخر قومه منه ومن جهوده التي يبذلها في سبيل إصلاح أوضاعهم فكان جوابه عليهم أن قال لهم: ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾[هود: ٨٨]، ومراد نبي الله شعيب عليه السلام بالإصلاح: "الإصلاح العام للحياة والمجتمع الذي يعود صلاحه بالخير على كل فرد وكل جماعة فيه؛ وإن خُيِّل إلى بعضهم أن اتباع العقيدة والخلق يفوت بعض الكسب الشخصي، ويضيع بعض الفرص، فإنما يفوت الكسب الخبيث ويضيع الفرص القذرة؛ ويعوض عنهما كسباً طيباً ورزقاً حلالاً، ومجتمعاً متضامناً متعاوناً لا حقد فيه ولا غدر ولا خصام، وقوله: ﴿ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ ﴾ فهو القادر على إنجاح مسعاي في الإصلاح بما يعلم من نيتي ، وبما يجزي على جهدي﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ﴾أي: عليه وحده لا أعتمد على غيره﴿ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾إليه وحده أرجع فيما يحزبني من الأمور، وإليه وحده أتوجه بنيتي وعملي ومسعاي"(٣٢).

وهذا سيد الخلق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كان يقوم بنفسه بالإصلاح بين الناس؛ حتى يقتدي به أتباعه من أمته، وله في ذلك مواقف كثيرة متعددة، فمن ذلك عندما وقع نزاع على دين بين كعب ابن مالك وابن أبي حدرد، سعى النبي صلى الله عليه وسلم للإصلاح بينهما، فعن عبد الله بن كعب أن كعب بن مالك حدثه: أنه تقاضى ابن أبي حدرد دينا كان له عليه في المسجد، فارتفعت أصواتهما حتى سمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيته فخرج إليهما حتى كشف سقف حجرته فنادى " **يا كعب** " . قال " لبيك يا رسول الله قال " **ضع من دينك هذا** "، وأومأ إليه أي الشطر قال لقد فعلت يا رسول الله قال " **قم فاقضه** "(٣٣) . وعن سهل بن سعد رضي الله عنه: أن أهل قباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة فأُخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال " **اذهبوا بنا نصلح بينهم** " (٣٤)، وقد جاء عن عمرة بنت عبد الرحمن قالت: سمعت عائشة رضي الله عنها تقول: سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوت خصوم بالباب عالية أصواتهما وإذا أحدهما يستوضع الآخر ويسترفقه في شيء وهو يقول: والله لا أفعل فخرج عليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: " **أين المتألي على الله لا يفعل المعروف** ". فقال أنا يا رسول الله، وله أي ذلك أحب"(٣٥).

ومن المواقف العملية التي عمل فيها النبي صلى الله عليه وسلم على الإصلاح بين الناس المختلفين، ما حصل منه مع خولة بنت ثعلبة التي جاءت إليه تشكوا زوجها الذي ظاهر منها وتسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حكم الله تعالى في ذلك، فتفهم النبي صلى الله عليه وسلم وضعها وحاول أن يصلح بينها وبين زوجها، وبسبب هذه الحادثة أنزل الله تعالى آيات الظهار في سورة المجادلة في قوله تعالى ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ﴾[المجادلة: ١] إلى قوله ﴿ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[المجادلة: ٤] (٣٦) .

ومن الملاحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسعى للإصلاح بين الناس بمجرد أن يبلغه خبر حصول نزاع أوخلاف بينهم، وكان يحث أصحابه على المشاركة في ذلك ليقتدوا به فيما بعد، وكان يعين الناس بدفع بعض المال أو المتاع من أجل الإصلاح بينهم؛ وهذا يدلنا على أهمية الإصلاح بين الناس وفضله، وأنه من عمل الأنبياء والمرسلين؛ فليقتدِ المسلمون برسولهم صلى الله عليه وسلم في هذا الجانب، وليكونوا من المبادرين للإصلاح بين الناس.

المبحث الثاني: أنواع الإصلاح بين الناس، في القرآن الكريم.

ذكر الله تعالى في كتابه الكريم أنواعاً من الإصلاح بين الناس، وهذه الأنواع متعددة ومتنوعة، فقد يكون الإصلاح المطلوب بين طائفتين مؤمنتين متقاتلتين، وقد يكون هذا الإصلاح بين أفراد مختلفين على

عرض من أعراض الحياة الدنيا، وقد يكون هذا الإصلاح المطلوب بين زوجين مختلفين حصل بينهما نشوز وخلاف، وسوف نذكر أهم ثلاثة أنواع من أنواع الإصلاح بين الناس من التي ذكرها القرآن الكريم، وسنتناولها في هذا المبحث على النحو التالي:

أولاً: الإصلاح بين طائفتين مؤمنتين متقاتلتين:

قد يحصل نزاع أو خلاف بين طائفتين من طوائف أهل الإيمان والإسلام، وفي هذه الحالة يجب على العقلاء من الطائفتين المتنازعتين العمل على وأد أسباب الخلاف والنزاع في مهدها قبل أن يؤدي بهم الخلاف أو النزاع إلى الاقتتال والإحتراب، وإن فشلت كل مساعي الإصلاح بينهما ووصل بهم الأمر إلى الاقتتال ففي هذه الحالة يجب تكثيف الجهود أكثر والعمل بكل جد واجتهاد من أجل الإصلاح بين هاتين الطائفتين المؤمنتين المتقاتلتين، قال تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ ﴾[الحجرات: ٩]، ولهذه الآية سبب نزول، ففي الصحيحين عن أنس ابن مالك رضى الله عنه، قال: قيل للنبي صلى الله عليه وسلم:" لو أتيت عبد الله بن أبي، فانطلق إليه النبي صلى الله عليه وسلم وركب حمارا فانطلق المسلمون يمشون معه... فلما أتاه النبي صلى الله عليه وسلم قال: إليك عني، والله لقد آذاني نتن حمارك، فقال رجل من الأنصار منهم: والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب ريحا منك، فغضب لعبد الله رجل من قومه فشتمه، فغضب لكل واحد منهما أصحابه فكان بينهما ضرب بالجريد والأيدي والنعال فبلغنا أنها نزلت ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ﴾ (٣٧)، قال الإمام الشوكاني في تفسيره لهذه الآية والمعنى:" أنه إذا تقاتل فريقان من المسلمين، فعلى المسلمين أن يسعوا بالصلح بينهم، ويدعوهم إلى حكم الله، فإن حصل بعد ذلك التعدّي من إحدى الطائفتين على الأخرى، ولم تقبل الصلح، ولا دخلت فيه كان على المسلمين أن يقاتلوا هذه الطائفة الباغية حتى ترجع إلى أمر الله وحكمه، فإن رجعت تلك الطائفة الباغية عن بغيها، وأجابت الدعوة إلى كتاب الله وحكمه، فعلى المسلمين أن يعدلوا بين الطائفتين في الحكم، ويتحرّوا الصواب المطابق لحكم الله، ويأخذوا على يد الطائفة الظالمة؛ حتى تخرج من الظلم، وتؤدّي ما يجب عليها للأخرى"(٣٨).

وهذا الاقتتال بين الطائفتين المؤمنتين له صورا متعددة، فقد يكون هذا الاقتتال بين طائفتين مؤمنتين من قبيلة واحد، أوبين طائفتين مؤمنتين من قبيلتين مختلفتين، وفي كل الأحوال يجب على الناس العقلاء السعي للإصلاح بينهما.

الإصلاح بين الناس في القرآن الكريم، (دراسة موضوعية) ـــــــ

الإصلاح بين الناس في القرآن الكريم، (دراسة موضوعية) ـــــــ

الإصلاح بين الناس في القرآن الكريم، (دراسة موضوعية) ـــــــ

فإذا لزم الإصلاح بين الأقل كانت بين الأكثر ألزم؛ ولأنّ الفساد في شقاق الجمع أكثر منه في شقاق الاثنين"(٤٥).

ومن هذا القبيل ما حصل من اختلاف بين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في كيفية تقسيم أنفال عزوة بدر، ففي غزوة بدر خرجت قريش لحرب المسلمين بعدتها وعتادها وبمعظم قوتها ومالها، وواجههم المسلمون في هذه المعركة المصيرية، بإمكانياتهم المحدودة، فنصرهم الله تعالى، وهزمة قريش شر هزيمة، ونتج عن هذه الحرب أن غنم المسلمون غنائم كثيرة، وكانت هذه أول غنائم يغنمها المسلمون فوقع بينهم خلاف في كيفية قسمتها، فأنزل الله قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾ [الأنفال: ١]، فعن عبادة بن الصامت قال: خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فشهدت معه بدرا، فالتقى الناس فهزم الله العدو، فانطلقت طائفة في آثارهم يهزمون ويقتلون، وأكبت طائفة على العسكر يحوونه ويجمعونه، وأحدقت طائفة برسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصيب العدو منه غرة حتى إذا كان الليل، وفاء الناس بعضهم إلى بعض قال الذين جمعوا الغنائم: نحن حويناها وجمعناها فليس لأحد فيها نصيب، وقال الذين خرجوا في طلب العدو: لستم بأحق بها منا نحن نفينا عنها العدو وهزمناهم، وقال الذين أحدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم: لستم بأحق بها منا نحن أحدقنا برسول الله صلى الله عليه وسلم، وخفنا أن يصيب العدو منه غرة واشتغلنا به، فنزلت: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾ [الأنفال: ١]، فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين."(٤٦).

ولكي يتم الإصلاح بين الإخوة المؤمنين المختلفين فقد أمرهم الله تعالى في هذه الآية بأربعة أوامر هي من أسباب الإصلاح بينهم " **أولها:** التقوى، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ فإن القلوب إذا امتلأت بالتقوى لم يكن للشيطان منفذ، ولم يكن للخلاف موضع لتقوى الله، فلا تشغلوا أنفسكم بالمال وتقسيمه، فقسمة الله هي العدل والمصلحة معا. **وثانيها:** إصلاح ذات البين، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ﴾ وهي الأمر الذي يربطكم، ومعنى إصلاحه رعايته، وتعهده، بأن تكون المودة ملاحظة في كل ما يربطكم، فيكون الإيثار بدل الأثرة، والمحبة الموصولة بدل العداوة. **الأمر الثالث والرابع،** طاعة الله وطاعة رسوله، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ بألا تجعلوا لأنفسكم إرادة بجوار إرادة الله ورسوله، وأن تجعلوا الله ملء أسماعكم، وطاعة رسوله هي سنة حياتكم. وقد بين الله

سبحانه وتعالى أن ملاحظة هذه الأمور هي نور الإيمان وموجبته، ولا إيمان إلا كانت معه هذه الأمور؛ ولذا قال تعالى: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾أي إن كان الإيمان حالة نفسية ملازمة لكم"(٤٧).

ولا يتحقق الإصلاح بين الإخوة المختلفين إلا باستشعارهم معاني تقوى الله تعالى، والتي تدفعهم لردم هوة الخلاف الحاصلة فيما بينهم، وقبولهم لكل مساعي الإصلاح التي يبذلها المصلحون، وهذا دليل على صدق إيمانهم بالله ورسوله.

ثالثا: الإصلاح بين الزوجين:

نشوز المرأة(٤٨) أمر خطير، ينذر بانهيار الأسرة وتهدم بنيانها، والنشوز من المرأة له علامات كثيرة منها، أن تمتنع المرأة عن فراش زوجها إذا دعاها إليه، وليس لها في ذلك عذر، أو أن تُدْخِل المرأة في بيت زوجها من لا يرغب فيه، أو أن تخرج من بيت زوجها بدون أذنه أو بغير رضاه، ونشوز المرأة:" قد يكون قولاً وقد يكون فعلا، فالقول مثل أنها كانت تلبيه إذا دعاها، وتخضع له بالقول إذا خاطبها، ثم تغيرت، والفعل مثل إن كانت تقوم إليه إذا دخل عليها، أو كانت تسارع إلى أمره وتبادر إلى فراشه باستبشار إذا التمسها، ثم إنها تغيرت، فهذه أمارات دالة على نشوزها وعصيانها، ومقدمات توجب خوف نشوزها"(٤٩).

وحفاظاً على الأسرة من الانهيار ذكر الله تعالى في كتابه الكريم منهجا متدرجاً للإصلاح بين الزوجين في حال الخوف من نشوز المرأة، وهذ المنهج المتدرج ذكره الله تعالى في قوله:﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾[النساء:٣٤]، قال أهل التفسير تعليقاً على هذه الآية:" لا يهجرها إلا بعد عدم تأثير الوعظ عليها، فإن أثر الوعظ عليها لا ينتقل إلى الهجر، وإن كفاه الهجر لا ينتقل إلى الضرب، والآية على الترتيب، فالوعظ عند خوف النشوز، والهجر عند ظهور النشوز، والضرب عند تكرّره، واللجاج فيه، ولا يجوز الضرب عند ابتداء النشوز "(٥٠).

فيبدأ الزوج بوعظ زوجته عملاً بقوله تعالى:﴿فَعِظُوهُنَّ﴾" قال ابن عباس يعني: عظوهن بكتاب الله، فأمر الله تعالى الزوج إذا نشزت زوجته أن يعظَها وأن يذكّرها بالله تعالى، وبعظيم حقّه عليها، وقال مجاهد: إذا نشزت المرأة عن فراش زوجها يقول لها: اتقي الله وارجعي إلى فراشك! فإن أطاعته، فلا سبيلَ له عليها"(٥١) وعلى الزوج أن يذكر زوجته بالعقوبات المترتبة على نشوزها، وامتناعها من فراش الزوجية، ومن ذلك مثلاً يذكرها بحديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت عليه، لعنتها الملائكة حتى تصبح**(٥٢).

وينبغي للزوج أن يكون حكيما حين يعظ زوجته ويذكرها فعليه أن يعظها برفق وأن: " ينتهز فرصة انسجام المرأة معه، وأن ينصحها في الظرف المناسب؛ لكي يكون الوعظ والإرشاد مقبولاً، فحين يجد الزوج الفرصة المناسبة لذلك، فليعظها وليعطها لها درساً في هذه الناحية "(٥٣).

فإذا لم تتأثر المرأة بالموعظة الحسنة انتقل الزوج إلى المرحلة الثانية وهي الهجر في المضاجع، وقد أمر الله تعالى بذلك في قوله: ﴿وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ﴾، ومما يدل على جواز هجران الرجل لزوجته ما أخرجه أبو داوود، فعن معاوية القشيري قال: قلت: يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال:" **أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت أو اكتسبت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت**"(٥٤)، وقد استخدم النبي صلى الله عليه وسلم الهجر في كثير من المواطن، فقد هجر زوجاته شهرا حينما حصل خلاف بينه وبينهن بسبب النفقة(٥٥)، وهجر كعب ابن مالك لما تخلف عن غزوة تبوك(٥٦).

وقد اختلف أهل التفسير بالمراد بالهجر في المضاجع في قوله تعالى: ﴿وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ﴾ على أقوال: **أحدها**: أنه هجر فراشها، وهجر مضاجعتها، وقد قال بهذا القول الحسن وقتادة. **الثاني**: المراد بالهجر في المضاجع أن يضاجعها على فراشها ويوليها ظهره ولا يجامعها وذلك عليها شديد، قال بهذا القول ابن عباس، **الثالث**: أنه ترك الكلام، لا ترك الجماع، وبه قال السدي، والثوري، "(٥٧). ومال الشيخ رشيد رضا إلى ترجيح قول ابن عباس، وأن المراد بالهجر بالمضاجع إنما يكون بهجر مجامعتها لا هجر كلامها ومضاجعتها والمبيت معها(٥٨)، ولعل هذا القول هو المناسب لمعنى الهجر في المضاجع.

ومما ينبغي التنبيه عليه أن هجر الزوج لزوجة في المضاجع ينبغي أن يكون هجرا جميلا، مقصود منه التأديب وإصلاح حال الزوجة، فينبغي أن يكون ذلك بالقدر الذي يفي بالغرض، وتدعو له الحاجة، بدون تعدي للحدود أو الانتقام من الزوجة، فإن هذا التصرف ليس من الهجر الجميل، بل إنه قد يندرج تحت الهجر المذموم الذي نهى عنه الشرع؛ لأنه لا يحصل به تأديب ولا مصلحة، إنما يجر إلى مزيد من التنافر والتباعد والاختلاف بين الزوجين، وقد يؤدي إلى هدم الحياة الزوجية والطلاق.

فإذا لم تنفع مع المرأة الموعظة الحسنة ولم تتأثر بالهجر في المضاجع، ففي هذه الحالة للزوج أن يضربها ضرباً غير مُبرح، قال تعالى: ﴿وَٱضۡرِبُوهُنَّ﴾ على أن يكون الضرب على قدر ما يحصل به الغرض، دون تجاوز أو تعد؛ لأن المقصود هو الزجر والتأديب، لا الإيلام والإيذاء، " قال أهل العلم: ضرب الرجل لزوجته هو الضرب الغير مبرح، وهو الذي لا يكسر لها عضوا ولا يؤثر فيها شيئا كاللكزة ونحوها، وقال عطاء: قلت لابن عباس ما الضرب الغير المبرح؟ قال بالسواك ونحوه. قال الحسن البصري: يعني غير مؤثر،

والضرب في هذه الآية هو ضرب الأدب المقصود منه الصلاح لا غير، ولا جرم أنه إذا أدى ضرب الرجل لزوجته إلى أذاها أو هلاكها وجب عليه الضمان"(٥٩).

ومع أن ضرب الرجل لزوجته الناشز مباح إلا أن تركه أفضل للرجل الخَيِّر صاحب الدين والخلق، فعن إياس بن عبد الله بن أبي ذباب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**لا تضربوا إماء الله**"؛ فجاء عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ذئرن النساء(٦٠) على أزواجهن، فرخص في ضربهن، فأطاف بآل رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء كثير يشكون أزواجهن، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "**لقد طاف بآل محمد نساء كثير يشكون أزواجهن، ليس أولئك بخياركم** " (٦١) .

والحاصل: أن الضرب علاج مر، قد يُضطر إليه الزوج حين تُصر المرأة على نشوزها، ولا تستمع لوعظ زوجها ونصحه، ولا تبالي بإعراضه عنها ولا بهجره لها في المضاجع، فيباح له في هذه الحالة أن يضربها ضرباً غير مبرح، بما يخفف من صلفها، ويردها عن نشوزها، ولا شك أن الضرب الغير مبرح بالسواك وما شابهه خير من الطلاق؛ لأن الطلاق هدم لكيان الأسرة وتمزيق شملها، فالضرب ليس فيه إهانة للمرأة، بل هو علاج ينفع مع بعض النفوس الشاذة التي لا ينفع معها الموعظة الحسنة والهجر الجميل.

والمراحل الثلاثة السابقة إذا لم تجدِ نفعاً، في الإصلاح بين الزوجين، ولم ترجع المرأة عن نشوزها، وبدأت تلوح في الأفق علامات الشقاق(٦٢) والفراق بين الزوجين، وأصبح الطلاق يهدد العلاقة الزوجية، هنا تحتاج هذا المشكلة إلى أن يتدخل محكمون ووسطاء من أهل الزوج والزوجة، لدراسة هذه المشكلة من أجل التوصل إلى حلها، وقد أمر الله تعالى بذلك في قول تعالى:﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [النساء: ٣٥]، قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية:" أي: وإن علمتم أيها الناس شقاقاً بين الزوجين، وذلك بمشاقة كل واحد منهما صاحبه، وهو إتيانه ما يشق عليه من الأمور، فابعثوا حكمين من أهليهما للإصلاح بينهما"(٦٣).

أما إلى من يتوجه الخطاب في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ ﴾ وفي قوله تعالى:﴿ فَٱبْعَثُوا۟ ﴾، فقد اختلف أهل التفسير في ذلك على قولين: **القول الأول**: ذهب جماهير أهل التفسير إلى أن الخطاب في هذه الآية متوجه إلى الحاكم أو من ينوب عنه إذا ترافعا إليه الزوجان، وذلك أن الحاكم أو نائبه هو الذي يلي أمر الناس، وهو الذي يتولى فصل الخصومات وفض النزاعات فيما بينهم، وإليه يكون الترافع وتنفيذ الأحكام وله تنصيب الحكمين بين الزوجين (٦٤)، **القول الثاني**: ذهب إليه بعض أهل التفسير وهو: أن الخطاب في الآية لجميع المؤمنين، سواء وجد الحاكم أو لم يوجد، فللمصلحين بين الناس أن يبعثوا حكما

من أهل الزوج وحكما من أهل الزوجة للإصلاح بينهما، وهذا يجري مجرى دفع الضرر، ولكل أحد أن يقوم به[٦٥]، والذي يظهر أن سياق الآية يحتمل القولين معا، فإذا وصلت مسألة الشقاق بين الزوجين إلى الحاكم أومن ينوب عنه، وجب عليه أن يبعث حكما من أهل الزوج وحكما من أهل الزوجة، لأجل الإصلاح بينهما؛ لأن ذلك يتعلق بمن بيده سلطة الحكم والتنفيذ، وهو الحاكم أو من يقوم مقامه، وأما إن كان بعث الحكمين لأجل التوفيق وإصلاح ذات بينهما، فيترجح قول القائلين: بأن الخطاب موجه لجميع المسلمين وخاصة من لهم القدرة على الإصلاح بين الزوجين، والله أعلم.

فلمكانة الأسرة في الإسلام، نجد أن الله تبارك وتعالى قد أحاط مسألة الإصلاح بين الزوجين ـ في حالة نشوز الزوجة وعند خوف الشقاق بينهما ـ بكل هذه المراحل المتدرجة من مراحل الإصلاح بينهما؛ حتى تبقى مؤسسة الأسرة المسلمة متماسكة أمام رياح المشاكل الأسرية التي لا تخلو منها أسرة في كل زمان ومكان.

المبحث الثالث: صفات المصلحين بين الناس، في القرآن الكريم

هناك صفات ينبغي أن يتحلى بها كل من يسعى للإصلاح بين الناس؛ حتى يوفقه الله تعالى للقيام بمهمته خير قيام، ويمكن ذكر أهم هذه الصفات على النحو التالي:

أولا: الإخلاص لله تعالى:

والمراد بذلك أن يكون الدافع للإنسان وهو يسعى للإصلاح بين الناس ابتغاء الأجر من الله تعالى، ولا يكون همه نيل رضى الناس أو الحصول على عرض من أعراض الدنيا، فإذا تكللت مساعيه بالنجاح فبها ونعمت، وإن أخفق في ذلك يكون قد فعل ما بوسعه، فينال الأجر العظيم من الله تعالى، الذي وعد الله به عباده المخلصين، وقد أشار الله تعالى إلى هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [النساء: ١١٤]، قال أهل التفسير والمعنى:" أن من يفعل هذه الأعمال مخلصا لله تعالى محتسبا ثواب ذلك من عند الله عز وجل فسوف نؤتيه الله ثوابا كثيرا واسعا، وهذه الأقسام الثلاثة من الطاعات وإن كانت في غاية الشرف والجلالة إلا أن الإنسان إنما ينتفع بها إذا أتى بها لوجه الله وطلب مرضاته، أما إذا أتى بها للرياء والسمعة، كأن يعمل هذه الأمور لأجل الشهرة بين الناس أو ليقال عنه: رجل طيب، يحض على الصدقة، ويأمر بالمعروف، ويسعى في الإصلاح بين الناس، عند ذلك تنقلب القضية وتصير من أعظم المفاسد، وإنما قيد فعل هذه الأمور بالابتغاء رضوان الله؛ لأن الأعمال بالنيات، وأن من فعل خيرا لغير ذلك لم يستحق به غير الحرمان، ولا يخفى أن هذا ظاهر في أن

الرياء محبط لثواب الأعمال، وفي الآية دلالة على أن غير المخلص لا يستحق غير الحرمان؛ لأن الله سبحانه وتعالى أثبت للمخلص فيها أجراً عظيما؛ فلهذا ينبغي للعبد أن يقصد وجه الله تعالى ويخلص العمل لله في كل وقت وفي كل عمل من أعمال الخير؛ ليحصل له بذلك الأجر العظيم، وليتعود على الإخلاص فيكون من المخلصين، وليتم له الأجر، سواء تم مقصوده أم لا؛ لأن النية حصلت واقترن بها العمل، وهذا هو مفرق الطريق بين العمل يعمله المرء فيرضى الله عنه ويثيبه عليه، والعمل يعمله المرء فيغضب الله عليه، ويكتبه له في سجل السيئات"(٦٦).

وإخلاص النية في إرادة الإصلاح بين الناس من أسباب توفيق الله تعالى للمصلحين، قال تعالى﴿ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا ﴿٣٥﴾ ﴾ [النساء: ٣٥] قال الإمام الرازي:" "والآية دالة على أنه لا يتم شيء من الأغراض والمقاصد إلا بتوفيق الله تعالى، والمعنى: أنه إن كانت نية الحكمين إصلاح ذات البين يوفق الله بين الزوجين" (٦٧)، فالحكمين إن قصدا بسعيهما الإصلاح بين الزوجين" وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه الله، بارك الله في وساطتهما، وأوقع بطيب نفسهما وحسن سعيهما بين الزوجين الوفاق والألفة، وألقى في نفوسهما المودّة والرحمة"(٦٨).

فعلى الساعي للإصلاح بين الناس أن يصلح نيته وأن يخلص لله في عمله وسعيه؛ حتى يكلل الله جهوده بالنجاح، فينال الأجر العظيم من الله تعالى.

ثانيا: العلم بأحوال الناس:

ومن الصفات الأساسية للمصلح بين الناس أن يكون المصلح بين الناس على علم بأحوال الناس الذين يسعى للإصلاح بينهم، ولديه إلمام بواقعهم وأحوالهم، ومطلع على الأسباب التي أدت إلى حصول الخلاف فيما بينهم؛ لهذا حث الإسلام في أمور الإصلاح بين الزوجين أن يتم اختيار الحكمين من أهل الزوج والزوجة؛ لأنهما أعلم بحاليهما وأدرى بواقعيهما؛ وذلك أدعى لقبول نصيحة المحكمين، والاطمئنان لتوجيهاتيهما، قال تعالى:﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا ﴿٣٥﴾ ﴾[النساء: ٣٥]، قال أهل التفسير حول هذه الآية" والحكمان لا يكونان إلا من أهل الرجل والمرأة وخص الأهل بذلك؛ لأنهما مظنة العلم بباطن الأمر، ومظنة الإشفاق على الزوجين بسبب القرابة؛ ولأنهما أطلب للصلاح فتسكن إليهم النفوس، فيطلعون على ما في ضمير كل من الزوجين المتخاصمين، وما فيه من حب وبغض وإرادة صحبة أو فرقة، ولا بد أن يكون الحكمين عارفين بأحوال الزوجين، عدلين، حسني السياسة والنظر في حصول المصلحة،

عالمين بحكم الله في الواقعة التي حُكِّما فيها، فإن لم يكن من أهلهما من يصلح لذلك أُرسل من غيرهما عدلين عالمين، وذلك إذا أشكل أمرهما ورغبا فيمن يفصل بينهما"(٦٩).

وقد جاء في السنة النبوية استحباب النبي صلى الله عليه وسلم تحكيم أهل العلم والفضل للإصلاح بين الناس، فعن عن شريح بن هانئ عن أبيه هانئ أنه لما وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعه وهم يكنون هانئا أبا الحكم فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:" **له إن الله هو الحكم وإليه الحكم فلم تكنى أبا الحكم**"؟ فقال إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين قال:" **ما أحسن من هذا، فما لك من الولد**"؟ قال: لي شريح وعبد الله ومسلم قال:" **فمن أكبرهم**"؟ قال شريح قال: "**فأنت أبو شريح**" فدعا له ولولده"(٧٠).

ومن العلم المطلوب في هذا الصدد أن يكون المصلح بين الناس عالماً بأهمية الإصلاح بين الناس وفضله، وليعلم أنه يتعبد الله تعالى بقيامه بهذه الأمر الذي حث الله تعالى على القيام به، وكلما ازداد علمه بأهمية الإصلاح بين الناس وفضله علت همته وبذل جهوداً مضاعفة في سبيل الوصول إلى الإصلاح بين الناس، وصبر على تجاوز العقبات والمشاق التي قد تعترض طريقة؛ وذلك أن الإصلاح بين الناس من الأمور الشاقة، والتي قد يستغرق وقتاً طويلا وقد يأخذ جهوداً كبيرة، ومن لم يكن عالما بذلك فقد صبره وضاق صدره، وساء خلقه عند أول عقبة تواجهه في طريقه للإصلاح بين الناس، وبالتالي يكون بعيداً عن تحقيق هدفه في الإصلاح بين الناس، وربما أفسد بين الناس أكثر مما يصلح بينهم

فعلم المصلح بين الناس بحال الناس الذين يسعى للإصلاح بينهم له أثر كبير في تحقيق عملية الإصلاح فيما بينهم؛ وذلك أن علمه بحالهم يعطيه قدراً كبيراً من التصور السليم حول الأسباب التي أدت إلى الخلاف بينهم، وبالتالي يتمكن من وضح الحلول المناسبة للإصلاح بينهم، ويمكنه ذلك من تقريب وجهات النظر بين الناس المختلفين، والسير بهم نحو الإصلاح المنشود.

ثالثا: العدل والقسط:

من الصفات الأساسية التي ينبغي أن يتصف بها كل من يسعى للإصلاح بين الناس أن يتصف بصفتي العدل والقسط، وأن لا يتأثر في هذا الجانب بقرابة أو عداوة، فقد يكون أحد المتخاصمين قريباً له، فلا تحمله القرابة على الميل له والوقوف في صفه، وفي المقابل قد يكون الطرف الآخر يكرهه أو يبغضه ـ لسبب من الأسباب ـ فلا تحمله الكراهية له على ظلمه أو انتقاصه من حقه، فالمصلح الحق بين الناس لا يتأثر بمثل هذه المشاعر ولا يلتفت لهذه الهواجس، وهاديه في ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا

فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿١٣٥﴾﴾[النساء: ١٣٥]، قال الإمام ابن كثير في تفسيره لهذه الآية" يأمر الله تعالى عباده المؤمنين أن يكونوا قوامين بالقسط، أي بالعدل، فلا يعدلوا عنه يمينا ولا شمالا ولا تأخذهم في الله لومة لائم، وليكن أداؤهم للشهادة ابتغاء وجه الله، فحينئذ تكون شهادة صحيحة عادلة حقا، خالية من التحريف والتبديل والكتمان؛ وليشهدوا بالحق ولو عاد ضررها عليهم أو على والديهم وقراباتهم، فلا تُراعهم فيها، بل اشهد بالحق وإن عاد ضررها عليهم، فإن الحق حاكم على كل أحد، ولا تراعي فيها غنيا لغناه، ولا تشفق علي فقير لفقره، فالله يتولاها، والله أولى بهما منك، وأعلم بما فيه صلاحهما، ولا يحملنكم الهوى والعصبية، على ترك العدل في أموركم وشؤونكم، بل الزموا العدل على أي حال كان، وقوله تعالى:﴿ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ ﴾ قال مجاهد أي: تحرفوا الشهادة وتغيروها، وقوله: ﴿ أَوۡ تُعۡرِضُواْ ﴾ الإعراض كتمان الشهادة وتركها، ولهذا توعَّدهم الله بقوله: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴾ أي: وسيجازيكم بذلك"(٧١).

وقد أمر الله تعالى من يقوم بالإصلاح بين الناس أن يكون عادلاً مقسطا في حكمه بينهم، قال تعالى ﴿ ... فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾، [الحجرات: ٩]، قال الإمام الشوكاني في تفسيره لهذه الآية:" والمعنى: أنه إذا تقاتل فريقان من المسلمين، فعلى المسلمين أن يسعوا بالصلح بينهم، ويدعوهم إلى حكم الله، فإن حصل بعد ذلك التعدّي من إحدى الطائفتين على الأخرى، ولم تقبل الصلح، ولا دخلت فيه كان على المسلمين أن يقاتلوا هذه الطائفة الباغية؛ حتى ترجع إلى أمر الله وحكمه، فإن رجعت تلك الطائفة الباغية عن بغيها، وأجابت الدعوة إلى كتاب الله وحكمه، فعلى المسلمين أن يعدلوا بين الطائفتين في الحكم، ويتحرّوا الصواب المطابق لحكم الله، ويأخذوا على يد الطائفة الظالمة حتى تخرج من الظلم، وتؤدّي ما يجب عليها للأخرى، ثم أمر الله سبحانه المسلمين أن يعدلوا في كل أمورهم قال تعالى:﴿ ...وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾ أي: واعدلوا إن الله يحب العادلين، ومحبته لهم تستلزم مجازاتهم بأحسن الجزاء"(٧٢).

فالعدل والقسط من الصفات الأساسية التي ينبغي أن يتحلى بها كل من أراد أن يصلح بين الناس؛ إذا أراد أن تتكلل جهوده بالنجاح، وأن يوفقه الله تعالى للقيام بهذه المهمة الشاقة والعمل الجليل.

رابعاً: حفظ الأسرار:

ومن الصفات الأساسية التي ينبغي أن يتحلى بها من يسعى للإصلاح بين الناس أن يكون حافظاً لأسرار الناس الذين يسعى للإصلاح بينهم؛ لأنه أثناء بحثه عن الأسباب التي أدت إلى حدوث المشاكل بين المتخاصمين، قد يطلع على بعض الأسباب التي أدت إلى ذلك، وبعض هذه الأسباب قد تكون محاطة بالسرية ولا يحب المتخاصمون أن يطلع عليها أحد من الناس؛ لهذا أمر الله تعالى ببعث حكما من أهل الزوج وآخر من أهل الزوجة؛ لأنهما أحفظ للأسرار التي قد يبديها لهما الزوجان، وأقدر عل تفهم مشكلات الزوجين وحلها، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾[النساء: ٣٥]، وعدم حفظ أسرار الناس المتخاصمين أو التحدث بها على الملأ ولجميع الناس له مفاسد كثيرة، ولهذا فقد " ينقلب الإصلاح المطلوب إفسادا، وهذا مما لا يكاد يخفى على أحد عاش بين الناس، واختبر أحوالهم فيما يكون بينهم من الخصام والشقاق والتنازع والصلح والتراضي بسعي محبي الإصلاح، فإن منهم من إذا علم أن ما يطالب به من الصلح كان بأمر زيد من الناس، لا يستجيب ولا يقبل، ومنهم من يصده عن الرضا بذلك ذكره بين الناس وعلمهم بأنه كان بسعي وتواطؤ، ومنهم من يشترط أن يكون خصمه هو الذي طلب مصالحته، ومنهم من يشترط أن يظن الناس ذلك، والجهر بالحديث في ذلك قد يبطل ذلك، فالإصلاح بين الناس يحتاج فيه إلى الكتمان وأن يكون الأمر به والسعي إليه بين من يتعاونون عليه بالنجوى فيما بينهم"(٧٣).

والله تعالى نهى عن النجوى إلا في ثلاثة مواطن، ومنها موطن الإصلاح بين الناس؛ لأن النجوى في هذا الموطن تكون سبباً لحفظ أسرار الناس المتخاصمين، وذلك يساعد على الإصلاح بينهم، قال صاحب الظلال عليه رحمة الله:" والنص القرآني هنا يستثني نوعاً من النجوى، هو في الحقيقة ليس منها، وإن كان له شكلها: ﴿ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ ﴾ [النساء: ١١٤]؛ وذلك أن يجتمع الرجل الخَيِّر بالرجل الخَيِّر، فيقول له: هلمَّ نتصدق على فلان فقد علمت حاجته في خفية عن الأعين، أو هلم إلى معروف معين نفعله أو نحض عليه، أو هلم نصلح بين فلان وفلان فقد علمت أن بينهما نزاعاً، وقد تتكون العصبة من الخَيِّرين لأداء أمر من هذه الأمور، وتتفق فيما بينها سراً على النهوض بهذا الأمر، فهذا ليس نجوى وإن كان له شكل النجوى، وفي مسارة الرجل الخَيِّر للخيرين أمثاله بأمر في معروف يعلمه أو خطر له، على شرط أن يكون الباعث هو ابتغاء مرضاة الله"(٧٤).

الإصلاح بين الناس في القرآن الكريم، (دراسة موضوعية) ـــــــ

يساعده في الوصل إلى مكامن التأثير في نفوس وعقول المختلفين، وأن يكون المصلح بين الناس على إطلاع على الدراسات النفسية التي تساعده على فهم نفسيات المختلفين، مما يسهل عليه التأثير عليهم بأسهل الأساليب وبأقصر الطرق، وهذه الأمور تكتسب بالدربة والممارسة بعد توفيق الله تعالى للعبد بأن يجعله مفتاحاً للخير في الإصلاح بين الناس مغلاقاً للشر، وهى منزلة لا يوفق الله تعالى لها إلا القليل من الخلق.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى وآله وأصحابه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، فهذه خاتمة البحث وقد اشملت على أهم نتائج البحث وتوصياته، على النحو التالي:

أولاً: أهم النتائج:

١ـ أمر الله تعالى في كتابه العزيز عباده المؤمنين بالإصلاح بين الناس، وعدَّ ذلك من أفضل الأعمال، ووعد القائمين عليه بالأجر العظيم.

٢ـ مدح الله تعالى القائمين بالإصلاح بين الناس، ترغيباً لهم في هذا العمل، وبين لهم أن الإصلاح بين الناس عبادة من العبادات والقائم عليها مقتدٍ بأنبياء الله ورسله.

٣ـ الإصلاح بين الناس على أنواع مختلفة، فقد يكون بين طائفتين متقاتلتين، وقد يكون بين اخوة مختلفين، وقد يكون بين زوجين بينهما نشوز أو شقاق.

٤ـ بالإصلاح بين الناس تطفى نار الخصومات والنزاعات، وتتصفى القلوب من الأحقاد والمشاحنات، وبذلك يبطل كيد الشيطان ومكره في التحريش بين الناس وافساد ذات بينهم، فيتحقق بذلك تماسك المجتمع ويسلم التمزق والانهيار.

٥ـ بالإصلاح بين الناس تنتشر ثقافة الحب والسلام، وتختفي ثقافة التباغض والتقاطع التي هي من أخلاق الجاهلين ومن صفات المفسدين.

٦ـ من أهم الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها من يسعى للإصلاح بين الناس، الإخلاص لله تعالى في هذا العمل، والعلم بفضيلة الإصلاح وأهميته، وحفظ أسرار المتخاصمين، وقوة الحجة والمنطق، والتحلي بالعدل والإنصاف.

ثانياً: أهم التوصيات:

١. يوصي الباحث المختلفين من المؤمنين، في أي أمر من الأمور، بالتحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ففيهما العلاج الشافي لكل مشاكلنا وخلافاتنا، متي ما تحاكمنا إليهما بصدق وإخلاص وتجردنا عن الأهواء والرغبات التي تتعارض مع كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

٢ـ يوصي الباحث المسلمين بالعمل على إنشاء مؤسسات وجمعيات متخصصة في مجال الإصلاح بين الناس، ويكون في عضويتها أهل علم وفضل وورع وتقوى من عقلاء المجتمع وأصحاب الكلمة المسموعة فيه، ويكون هدفها النظر في النزعات التي تحدث بين الناس والعمل على حلها بأيسر الطرق وأحسن الأساليب.

٣ـ إعداد برامج خاصة تعتني ببيان فضل الإصلاح بين الناس وتبين أهميته، ويتم إلقاؤها عبر وسائل الإعلام المختلفة، فتلقى في طوابير الصباح في المدارس، وفي منابر الجمعة في المساجد، وفي القنوات التلفزيونية، وعبر وسائل التواصل الاجتماعي المختلفة.

٤ـ التدريب العملي لبعض الشخصيات الاجتماعية، ممن يتوسم فيهم القدرة على الاصلاح بين الناس، وإعداد جوائز تشجيعية للمبرزين منهم في هذا المجال.

٥ـ يدعو الباحث الباحثين والدارسين إلى دراسة موسعة لكل نوع من أنواع الإصلاح بين الناس كل على حدة، لما في بيان هذه الأنواع وعلاجها من آثار طيبة على حياة الفرد والمجتمع.

وفي الختام أسأل الله بمنه وكرمه أن يوفقنا لفعل الطاعات، وترك المنكرات، وأن يجعلنا مفاتيح للخير مغاليق للشر وممن يعملون على إصلاح أنفسهم ويعملون على الإصلاح بين الناس ابتغاء وجه ربهم سبحانه وتعالى، كما أسأله أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، ويعم به النفع في الدارين، إنه سميع قريب مجيب الدعوات.

هوامش البحث:

---

(١) فعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول:" **إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم**" ينظر: مسلم بن الحجاج أبو الحسين النيسابوري، صحيح مسلم، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي برقم(٥٠٣٠).

(٢) فعن أبي الدرداء رضى الله عنه قال قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" **ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة**"؟ قالوا بلى قال:" **صلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هي الحالقة**" قال أبو عيسى الترمذي: هذا

الإصلاح بين الناس في القرآن الكريم، (دراسة موضوعية) ـــــــ

الإصلاح بين الناس في القرآن الكريم، (دراسة موضوعية) ـــــــ

الإصلاح بين الناس في القرآن الكريم، (دراسة موضوعية) ـــــــ

الإصلاح بين الناس في القرآن الكريم، (دراسة موضوعية) ـــــــ

الإصلاح بين الناس في القرآن الكريم، (دراسة موضوعية) ـــــــ

الإصلاح بين الناس في القرآن الكريم، (دراسة موضوعية) ـــــــ

الإصلاح بين الناس في القرآن الكريم، (دراسة موضوعية) ـــــــ

الإصلاح بين الناس في القرآن الكريم، (دراسة موضوعية) ـــــــ

الإصلاح بين الناس في القرآن الكريم، (دراسة موضوعية) ـــــــ

٥٩. مقبل بن هادى الوادعي، الصحيح المسند من أسباب النزول، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٤ ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م .

٦٠. يحيى بن شرف النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت ط٢،١٣٩٢هـ.